

مقدمة:

لقد أسس الإسلام لقيم اجتماعية وأخلاقية عظيمة تتعلق بالماء والمال، فهو وإن أباح تملكهما، بحيث لم يغفل الطبيعة البشرية من حبها للتملك، فإنه حث على التصديق بهما، ووقفهما، تنفيسا للكرب، وتحقيقا لمبدأ التعاون والتضامن بين الناس، مما جعل الوقف في الإسلام، من أعظم القربات ⁽¹⁾، لما يحققه من نفع للعباد في مختلف المجالات الدينية والتعليمية والثقافية والصحية والاقتصادية والبيئية...

(1) حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أصاب عمر بخبير أرضا فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به قال "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها" فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه". أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، 1986م. ج 5، ص: 468. حديث رقم 2620.

وفي صحيح سنن النسائي، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، "جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله، إني أصبت مالا لم أصب مثله قط، كان لي مائة رأس، فاشتريتها بمائة سهم من خير من أهلها، وإني قد أردت أن أقرب بها إلى الله عز وجل، قال: فاحبس أصلها وسبل الثمرة". سنن النسائي بشرح السيوطي تحقيق مكتبة تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة بيروت. حديث رقم 3606.

ومن أهم المجالات التطبيقية للوقف منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا: وقف الماء⁽²⁾، الذي هو سر الحياة ودوامها، فقد جعله الله تبارك وتعالى السبب المباشر في حياة المخلوقات كلها، قال الله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"⁽³⁾.

روى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة وليس بها ماء مستعذب غير بئر رومة، قال: "من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟"، فاشتريتها من صلب مالي"⁽⁴⁾، وعن سعد بن عباد رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأبي الصدقة أفضل؟ قال: الماء، فحفر بئرا وقال: هذه لأم سعد"⁽⁵⁾.

(2) يقصد بوقف الماء وقف مصدر من مصادره أو منبع من منابعه، كالآبار والعيون وغيرها، أو أي ماء محاز ومملوك ملكية خاصة، أما مصطلح الوقف المائي في الدراسة فيقصد به وقف الماء نفسه أي وقف مصدر من مصادره، أو الوقف من أجل توفير الماء، ويعني هذا أن محل الوقف في هذه الحالة ليس ماء، لكنه يتحول إلى وقف مائي بحسب إرادة الواقف.

(3) سورة الأنبياء، من الآية 30.

(4) سنن الترمذي، ج 5، تحقيق إبراهيم عوض، ط 2، مكتبة الحلبي، 1975، ص: 637، حديث رقم 3703.

(5) سنن أبي داود، ج 3، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، 2009، ص: 109، حديث رقم: 1681.

واستجابة لهدي الرسول عليه الصلاة والسلام، تنافس المسلمون على مر التاريخ في وقف أنفس أموالهم عامة، وفي وقف الماء خاصة، بعد أن كانوا في الجاهلية يتقاتلون على الماء، من أجل السيطرة على منابعه، "فكانت كل قبيلة تهاجم القبيلة التي تفوز بمنبع ماء قبلها، وتحاول إخراجها منه بقوة السلاح، وإنهاكها عطشا، وهذا ما فعله بنو عبس عندما أراحوا بني ثعلبة من غدير يقال له "قلهى" سيطروا عليه قبلهم ومنعوه من الماء حتى كاد بنو ثعلبة يموتون عطشا ودوابهم⁽⁶⁾.

ونظرا لأهمية الماء في حياة البشرية، تنوعت الأدبيات التي تناولت موضوع الماء في شتى مجالات المعرفة⁽⁷⁾، بيد أن مجال بحثنا، وهو الوقف المائي⁽⁸⁾، مازال مجالا خصباً يحتاج إلى

(6) عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديماً، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2004، ص: 98 وما بعدها.

(7) اهتم الباحثون في مختلف أصناف العلوم بدراسة الماء لما له من ارتباط وثيق بمختلف التخصصات، فالفقيه مثلاً يتناول دراسة الماء من جانب أحكام الطهارة أو العبادات، والطبيب يتناوله من جانب ضرورته لصحة الإنسان، والعالم الجيولوجي يتناوله من كونه عنصراً ضرورياً للكائنات الحية، إلى غير ذلك من مجالات العلوم التي اهتم أصحابها بالماء.

(8) هناك بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، منها: حلقة نقاشية حول الوقف المائي مناهج مبتكرة في التمويل، على هامش المؤتمر العربي الإقليمي الثالث للمياه، القاهرة، 10 كانون الأول، 2006. ==

مزيد من الدراسات التي تسهم في طرح هذه القضية من جديد لمواجهة ما يسمى بأزمة الماء في الوطن العربي، وذلك بالتركيز على الإشكالات التي يثيرها هذا الموضوع، من خلال أبعاده الفقهية، والقانونية، والاقتصادية، خاصة وأن إحدى الدراسات المعاصرة توصلت إلى أن "أغلب مناطق الوطن العربي تعاني من ندرة المياه، ويرجع ذلك إلى وقوعها في المنطقة الجافة وشبه الجافة من الكرة الأرضية. ومع نمو السكان في الوطن العربي فإن مشكلة الندرة تتفاقم كنتيجة منطقية لتزايد الطلب على المياه لتلبية الاحتياجات المنزلية والصناعية والزراعية"⁽⁹⁾.

= = دراسة كل من: نوبي محمد حسين عبد الرحيم، دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة في المملكة العربية السعودية، سلسلة الدراسات الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف (14)، ط1، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، 2011.

وعبد القادر بن عزوز، دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة، سلسلة الدراسات الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف (15)، ط1، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، 2011.

بعض الأبحاث المقدمة إلى المؤتمر الدولي الرابع للأوقاف حول: نحو استراتيجية تكاملية للنهوض بالوقف الإسلامي المقام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية، في مارس 2013.

(9) سامر خمير وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية: الحقائق والبدائل الممكنة، كتاب عالم المعرفة رقم 209، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1996، ص: 7.

وقد سجل التاريخ، على أن المؤسسات الوقفية المائية هي التي كانت تتولى تزويد مختلف المرافق الأساسية في المجتمع الإسلامي بالمياه، من مساجد وزوايا ومؤسسات تعليمية ومستشفيات وحمامات وغيرها، بيد أنه مع بداية القرن العشرين، بدأت مؤسسة الوقف المائي تتراجع تدريجيا إلى أن توارت في العصر الحاضر جراء تدخل الدولة الحديثة في بعض المجالات الاقتصادية والاجتماعية، من خلال عملية تقنين أحكام المياه وذلك بنقل ملكيتها إلى الملك العام للدولة، وما صاحب ذلك من إشكالية الاعتراف بالمياه الحسبية وإثباتها.

وبناء على هذا التغير الوظيفي لمؤسسة الوقف المائي، ماهي الوظائف التي قامت بها هذه المؤسسة في المجتمع الإسلامي؟، وما هي أهم الأحكام الفقهية للمياه الوقفية في الفقه الإسلامي والتشريع المائي المغربي؟، وما هي سبل الاستثمار الوقفي في مجال المياه وآفاقه على المستوى الدولي؟

جوابا عن هذه الأسئلة ستتم معالجة أحكام المياه الوقفية في الفقه الإسلامي والتشريع المائي المغربي في المبحث الثاني، ثم بيان أوجه الاستثمار الوقفي في مجال المياه وآفاقه على المستوى الدولي في المبحث الثالث، على أن يتم البدء بإبراز إسهام المؤسسات الوقفية المائية في الحضارة الإسلامية في المبحث الأول.